خصوصية يمنية للطوب الناري

"الياجور" .. يجلب الدفء والجمال

يصبح خليط الطين وروث البهائم بعد إحراقه ثلاثين يوماً شيئاً ثميناً ومدينة "صنعاء القديمة" التي يعدها التراث العالمي بين أغلى جواهر التاريخ. بنيت من هذا الخليط.

كل الدراسات التي استنشقت عطر صنعاء القديمة وتمسحت بغبارها تبدأ دائما بهذه الحقيقة.

يقولون أنها المدينة التي بنيت من نفس بيئتها دون شوائب، حتى أن استخدام الحديد اقتصر على مسامير تثبت أجزاء النوافذ والأبواب الخشبية بعضها ببعض.

في العمق أيضاً لا يمكن تجاوز هذا الخليط، فهو منح المدينة سحرها الأول، لونها القرمدي الناري المتأنق ببياض الجص، لتصير مثل شعلة يطرزها الضباب.

والخليط نفسه هو من منح مساكن المدينة دفئها، هذا ما يؤكده أصحاب النظريات الهندسية الأكثر جفافاً.

تحقيق/ محمد الظاهري

ويسمى هذا الخليط محلياً "الياجور" واسمه الشائع في كل البقاع "الطوب الناري"، وإن كان الأخير قد تخلص بمقتضى الحداثة من روث البهائم.

وقد فشلت رغم سعة "الإنترنت" من معرفة تاريخ إحراق أول "ياجورة"، لكن الثابت بأن هذا النوع من حجارة البناء وجد في أكثر من مكان في العالم.

وتؤكد المعلومات المتوفرة أنه طغى على مدن السواحل لقدرته الهائلة على تجاهل درجات الحرارة خارج المنزل.

وقال رئيس الهيئة العامة للمحافظة على المدن التاريخية الدكتور عبدالله زيد "معرفة بدايات الياجور أمر صعب"، لكن المؤكد لديه بأن أقدم بيوت صنعاء القديمة بنيت به.

ويرجح الدكتور زيد أن صناعة الياجور مرت بأطوار عديدة وتطورت داخل المدينة التي مرت هي الأخرى بمراحل متعددة حتى وصلت إلى نموذجية تخطيطها وتصميم مبانيها.

ربما يكفينا هنا معرفة أن مدينة صنعاء تعد من أقدم مدن العالم، وأخبرنا الدكتور زيد بأن مدينة شبام التي لا تقل قدما بنيت بمادة مشابهة تسمى محليا "اللبن" بكسر اللام الثانية.

والفرق بين اللبن والياجور أن الأول لا يحرق، ويسمى في أبحاث الهيئة العامة للمحافظة على المدن التاريخية "الياجور النيء".

صناعة الياجور ما زالت حرفة مستمرة، وكانت محاريفه المخروطية منتشرة حول المدينة، لكن السلطات المحلية قررت إبعادها قليلاً.

وجاء قرار الإبعاد لتجنيب الأحياء السكنية أدخنة هذه المحاريق التي تنبعث بكثافة.

وعلى بعد قرابة عشرة كيلومترات شمال مدينة صنعاء القديمة تجمعت مؤخرا خمسين محرقة للياجور.

للوهلة الأولى يبدو المكان نائيا، لكنك سرعان ما تجزم بضرورة إقصاءها أكثر وأنت تشاهد كثافة الأدخنة المنبعثة من قمم المحارق المخروطية وسط محيط زراعي.

هناك مررنا مع علي إسماعيل (٢٥ عاما) الذي يعمل في صناعة الياجور منذ كان في الثالثة عشرة بمراحل حرفته.

يخلط نوع جيد من الطين بكمية مناسبة من مادة "الطيخة" كما يسمونها، وهي روث البهائم، ثم يعجن الخليط بعد إضافة الماء بشكل جيد في حفرة في الأرض، ويترك حتى اليوم الثاني ليتماسك أكثر.

يشكل الخليط في قوالب مختلفة، والشائع منها أن تكون الطوبة مفلطحة الشكل، فارتفاعها لا يزيد عن خمسة سنتيمترات، وعرضا عشرة سنتيمترات. وينتج العامل الواحد ألف طوبة في اليوم تترك في الشمس حتى تجف.

تنقل بعدها إلى محاريق مخروطية بنيت بشكل معين من أحجار الياجور نفسها، يكون لها باب على مستوى سطح الأرض، والآخر من العمق، وسالم حتى أعلى المخروط.

وترص الأحجار داخل المخروط تفصل بين عدد من طبقاتها طبقة من الأخشاب ومادة "الطيخة" وتصل سعة المحراق الواحد من ٣٠ إلى ٦٠ ألف طوبة (حسب حجمه).

يتم إيقاد النار في المحراق يوماً كاملاً، ويحافظ "الحراقين" كما يسمون أنفسهم على كمية النار في المحراق باستخدام بابه السفلي، يتم بعدها سد كل فتحات المحراق بشكل محكم، وتغطية قمته بمادة الطيخة ليحتفظ بحرارته لكنها تسمح له أن يتنفس دخانه.

وبفعل احتراق الأخشاب تهبط الأحجار، لذا تضاف مادة الطيخة من القمة كل فترة.

ويبقى المحراق من ٢٠ إلى ٣٠ يوماً مغلقا تماما ما عدا القمة التي تسمح بتصاعد الأدخنة منها بشكل كثيف طوال المدة.

وقال علي إسماعيل أنهم يبدأون فتح المخروط بعد توقف الأدخنة، لكنهم لا يجرؤون على إخراج محتوياته لأن الأحجار تكون شديدة الحرارة، وأضاف: "نخرجها على دفعات، كلما بردت طبقة أخرجناها.

في النهاية يكون لدينا أحجار مفلطحة حمراء قليلا خفيفة الوزن بشكل واضح، وأثناء البناء توضع الأحجار على بعضها البعض (عموديا) في صفين متجاورين.

ويؤكد خبراء الهندسة أن هذه الحجارة الخفيفة تساعد على امتصاص الحرارة في الخارج، وجعل جو المنزل معتدلا، وفي الشتاء تعطي نفس النتائج لقدرتها على امتصاص الحرارة والاحتفاظ بها.

حجر الياجور تباع بعشرة ريالات، ويعني ذلك أن إيرادات المخروط الذي يتسع لستين ألف حجر تصل إلى ٦٠٠ ألف ريال في الشهر تقريبا، ويتضمن المبلغ قيمة المواد الأولية وأجور العمال.

وبسبب حجم أحجار الياجور الصغير فإن البناء بها رغم جماله أكثر كلفة من البناء بالطوب الإسمنتي، لكنها أقل بكثير في حال استخدام الأحجار المنشورة الشائع استخدامها في اليمن.

ورغم إيمان "الحراقين" كما يسمي أصحاب هذه الحرفة أنفسهم بأن سبب إبعاد محاريقهم عن المدينة مقنع ووجيه، إلا أنهم يفاجئوك بتذمرهم، ويؤكدون أنه تم الاعتداء عليهم.

شعورهم بالغبن وتخاذل الجهات المختصة عن تنفيذ قرار رئيس الجمهورية بتمليكهم الأراضي يجعلهم غير راضين، وقال عادل العجاج (٣٥ عاما) الذي يملك عددا من المحارق: "لم نعوض بشكل عادل ولم تف الحكومة بوعودها".

أمانة العاصمة التي اتخذت قرار نقل محاريق "الياجور" وسط مباركة الجميع دفعت ٤٠٠ ألف ريال عن كل محراق تم نقله، لكن أصحاب هذه المحاريق يؤكدون أنهم لم يتسلموا سوى ٣٨٠ ألف ريال.

ووعدت أمانة العاصمة ملاك المحاريق بشراء الأرض التي سينتقلون إليها، وتسليمها لهم حسب توجيه الرئيس، وبدلا من ذلك وقعت مع كل منهم عقد إيجار مدته عشر سنوات بقيمة ٤٠ ألف ريال.

ومقارنة بدخلهم فالرقم جيد، لكن خوفهم من زيادة الإيجارات بسبب رفض أهالي الأرض الأصليين لوجودهم ما يشعرهم بعدم الطمأنينة.

ويخبرنا عادل بأن محاريقه كانت جوار منزله في حي (مسيك) قرب مدينة صنعاء القديمة، وأن المحاريق كانت تنشر الدفء في الحي وتحارب الباعوض.

كان يسخر، ثم قال بضيق: "لم أكن أدفع إيجاراً، والآن أصحاب المزارع المحيطة يرفضوننا لأن الأدخنة أضرت بمحاصيلهم"، و"أصحاب الأرض يسببون المشاكل"، وهذا ما يقلق الحراقين اليوم أكثر من أي شيء آخر.

ومقابل الإيجار رفع أصحاب المحاريق أسعار سلعتهم من عشرة ريالات للطوبة الواحدة إلى ١٢ ريالا، ويسخر أحدهم: "هذه الزيادة تعتبر بقرار حكومي لأنهم يلزمونا بالإيجار".

كل عامل ينتج ألف حجر في اليوم، وتحرق مدة ثلاثين يوماً

أقدم مباني صنعاء من الياجور، وتاريخ أول ياجورة مجهول

التعداد العام للسكان والمساكن والمنشآت ٢٠٠٤م

المصدر الرئيسي لبيانات التركيب العمري والنوعي والتي تشكل العنصر الأساسي في التنمية المختلفة وأحد المؤشرات المهمة للتنمية البشرية

أشواق

عبدالكريم الخميسي

صنعاء.. تتكلم

● صنعاء.. الصامتة عبر العصور، والصابرة مدى الدهور.. بدأت - اليوم- تتكلم .

● صنعاء.. التي تأسست بعد الطوفان، وصمدت في وجه القرون والأزمان، وشهدت بزوغ كل الحضارات والأديان واستحقت وسام الحكمة والإيمان.. صنعاء.. التي تغنى بها الشعراء عبر التاريخ منذ بانيها الأقدم سام بن نوح الى عاشقها الأول سليمان العيسى.

● هذه المدينة التي اختارتها الثقافة عاصمة لها، واختارها التاريخ تاجاً على مفرقه، واختارها الشعر مرتعاً لخياله، واختارها الفن محراباً لريشته هذه المدينة الفاتنة بدأت اليوم تتكلم ، وتعبر عن امتنانها لكل الوافدين إليها من الأهل، والأشقاء، والأصدقاء للاحتفاء بها والمشاركة في تتويجها خلال هذا العام، ولكنها تحلم بأن يتغلغل ذلك الاهتمام من الشكل الى المضمون، ومن المساكن الى السكان حتى لاتصبح مثل "عروسة النيل" التي يزينونها لأسماك القرش!!.

● (صنعاؤكم) ايها اليمنيون.. تريد لأهلها أن ينعموا بقسط ولو ضئيل من عنايتكم ورعايتكم ،تريد أن تكون مواردها السياحية، والإعلانية، والاستثمارية لأبنائها المحرومين وليس لأولئك الذين لايشبعون، تريد لأسواقها الشعبية أن تنتعش، ولصناعاتها الخفيفة أن تنمو، ولبساتينها المتبقية أن يتم تسويرها.

● (صنعاؤكم) يا سادة تريد أن ينال "الصنعاني" حقوقه وحظوظه، وتعود إليه غلول أمواله كاملة غير منقوصة.. فهو الذي تلقى بصدره العاري كوارث النهب، وصواريخ الحصار، وقاذفات الانفصال.. فأين الوفاء؟!.

ص . ب (٤٨٤١)
alkhmisy@hotmail.com

تأملات

محمد العريقي

تنظيم الأسرة يحاصر الانفجار السكاني

■ رسالة واضحة وصريحة وجهها فخامة الأخ علي عبدالله صالح رئيس الجمهورية قبل ساعات من ليلة الإسناد الزمني للتعداد العام للسكان والمساكن والمنشآت لعام ٢٠٠٤م إلى كل الفعاليات المهتمة بقضايا المجتمع وخصوصاً أصحاب الفضيلة العلماء والدعاة وخطباء المساجد والمرشدين مفاد تلك الرسالة أن موارد التنمية يلتهمها النمو السكاني المتزايد وأن المخرج المناسب هو محاصرة ذلك الانفجار من خلال أدوار متكاملة وفي مقدمة ذلك الدور التوعوي.

● فأصحاب الفضيلة العلماء يعرفون الكثير ومطلعين على الأدلة الدينية والشرعية التي تتفق مع توجهات الدعوة إلى تنظيم الأسرة تكريماً للإنسان المسلم وإعداده وبنائه نفسياً وبدنياً وفكرياً حتى يكون قوياً وسليماً.

وهذا لا يأتي إلا بقرار اختيار يحدد العدد الأمثل من البنين والبنات .. أفضل من إنجاب الكثير برعاية ضعيفة وهموم كبيرة .. وموارد محدودة.

فنحن بحاجة إلى ترسيخ قناعات تسهم في بناء الأسرة الصالحة والقوية التي تشكل بالأخير قوام المجتمع المنتج المكتفي بتأمين احتياجاته من موارده الذاتية والمتاحة .. وهذا العمل لا تفكر به اليمن وحدها فالكثير من الدول الإسلامية تبنت التخطيط لتنظيم الأسرة ونجحت .. ومنها جمهورية إيران الإسلامية ودول عربية كثيرة.

إن تركيز فخامة الرئيس علي عبدالله صالح على قضية تنظيم الأسرة لاشك أنه سوف يثلج قلوب الأخوة في المجلس الوطني للسكان الذي يضع في خططه وسياساته تنظيم الأسرة والصحة الانجابية في المقدمة.. واعتمد المجلس في تنفيذ تلك التوجهات نفس الرؤى والملاحظات التي أثارها فخامته في الخطاب الذي ألقاه بمناسبة تدشين ليلة الإسناد الزمني للتعداد ، وكذا في مناسبات عديدة.

ووفق متابعتنا لنشاط المجلس فإن خططه التوعوية تراهن كثيراً على دور أصحاب الفضيلة العلماء والمرشدين والوعاظ .. وفتح لتحقيق ذلك قناة تواصلية واسعة مع وزارة الأوقاف والإرشاد .. وكذا مع وسائل الإعلام المختلفة.

لكن وقد جاء التأكيد على أهمية تنظيم الأسرة وأبعاد المشكلة السكانية من لسان رئيس الجمهورية فإن المطلوب فعلاً أن تعتلي القضية السكانية الأولوية والصدارة في الرسالة التوعوية سواءً كانت في المسجد أو عبر وسائل الإعلام أو في نشاط المنظمات غير الحكومية.

والنقطة الثانية والمهمة في هذا الصدد هو تقديم الدعم المؤسسي للمجلس الوطني للسكان .. فهو مصدر المعلومات السكانية وهو المنسق والمتابع لمستوى تنفيذ الاستراتيجية والسياسات السكانية ومنه ننتظر البشائر بتعطيل انفجار القنبلة السكانية.

alariky@maktoob.com